مغالطات المستشرقين من خلال الإشكالات المنهجية في كتاب قواعد اللغة العربية لرايت

الدكتور / عبدالله بن هادي القحطاني

أستاذ مشارك ورئيس قسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية

جامعة الملك سعود - أبهـــا

ملخص البحث

ألف مستشرق ألماني يسمى "كاسبري" كتاباً تعليمياً في قواعد اللغة العربية، فأعجب به مستشرق آخر - وهو وليم رايت - فترجمه إلى اللغة الإنجليزية، وأضاف إليه إضافات كثيرة. واشتهرت هذه الترجمة اشتهاراً غطى على اسم مؤلفه الأصلي، فنسب الكتاب إلى المترجم وأصبح معروفاً بعنوان (كتاب رايت في قواعد اللغة العربية).

وقد لقى الكتاب رواجاً في الغرب، واستفاد منه عدد كبير من الدارسين الغربيين بل كثير من العرب أيضاً الذين اتجهوا إلى الجامعات الغربية لدراسة علم اللغة.

ومن ثم تصدّى هذا البحث لدراسة نقدية لذلك الكتاب وركز فيها على الشواهد والأمثلة التي جاءت في الكتاب، واكتشف أن المستشرق خالف المنهج العلمي في إيرادها، وحاد عن الموضوعية التي يتبجح بها المستشرقون والمغرورون بهم، فتلاعب بالنصوص التي أخذها من القرآن والحديث من غير إشارة إليها، وتعمد بترها من سياقها لتفيد معاني مناقضة لمعانيها الأصلية.

وقد ذكر الباحث أمثلة كثيرة منها :

﴿ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ﴾

اقتطعه المستشرق من قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (البقرة ١٣٥).

ومنها : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ مبتوراً مما قبله ومما بعده.

وهناك جُمَلٌ وعبارات تتضمن عقائد النصارى أو أفكاراً منحرفة لبعض فرق المسلمين الضالة ساقها المستشرق بكل تعسف لأنها توافق هواه.

أليس من الغرائب أن المستشرق لما أراد أن يأتي بمثال لاستعمال (عند) لم يجد في القرآن والحديث وكلام العرب والتراث العربي كله إلا هذه الجملة :

(كان عنده أن القرآن مخلوق)؟!

وأغرب من ذلك أنه أعياه البحث في كلام العرب كلهم أولهم وآخرهم عن

شاهد للفعل الناقص (كان) ففزع المسكين إلى الترجمة العربية لكتابه المقدس التي أسعفته بهذه الدرة اليتيمة : (كانوا صلبوا ربّ المجد)!

وقد صنّف الباحث هذه الشواهد والأمثلة إلى ثلاثة أصناف وتكلم عليها بالتفصيل، وأثبت أنها قد انتقيت بعناية شديدة لأغراض غير علمية، منها نشر العقيدة النصرانية وتشويه العقيدة الإسلامية، وإثارة الطائفية.

المقدمة :

لقد تميزت كثير من كتب علم اللغة والتاريخ والأدب باحتوائها على أمثلة تحمل معتقدات كتابها وانتماءاتهم الفكرية، والأمثلة على ذلك كثيرة منها كتابات الجاحظ عن اللغة [١] والمسعودي (مروج الذهب)[٢]، وعلى الرغم من نفي تشومسكي[٣] (Chomsky) لتأثر أفكاره ونظرياته اللغوية بانتماءاته السياسية والفكرية، فإن كثيراً من الأمثلة التي ساقها في حوايا كتبه في مجال اللغويات ـ كما لاحظ ذلك بعض الكتاب من أمثال Newmeyer [٤] (نيومـاير) ـ تحمل في طياتها استشهادات لغوية متشبعة بالفكر الليبرالي الملتزم الذي يمثله تشومسكي في الولايات المتحدة الأمريكية .

وبما أن كثيراً من كتب التاريخ تشمل أحداثاً أو معلومات مغلوطة عن عمد من قبل المؤرخين والباحثين، إما لخدمة أهدافهم السياسية أو الفكرية أو غيرها ، كما في كتابات بروكلمان (Brockelmann) عن السيرة النبوية[٥]. أو أن تكون أغلاطاً ناتجة عن عدم استقصاء وقصور في البحث العلمي، أو عن عدم توفر مصادر كافية للمعلومات فإن علم اللغة، علم وصفي وتفسيري لظواهر لغوية سواء كانت على مستوى الأصوات (أو المقاطع اللغوية)، أو الكلمات، أو الجمل، ففي الغالب يكون على درجة معقولة من الموضوعية، وربما لا توجد مصلحة في وصف لغة أو تفسير قاعدة أو ظاهرة لغوية على غير حقيقتها، وبينما يتطلب وصف أية قواعد لغوية الإتيان بأمثلة توضيحية تبين التطبيقات الفعلية لتلك القواعد والظواهر في عالم الواقع، وهو ما يطلق عليه الاستشهادات اللغوية، وكتب اللغويين مليئة بها منذ عهد سيبويه حتى وقتنا الحاضر، لأن اللغة هي مادة علم اللغة التي يستقي منها قواعده ويبني عليها نظرياته. والكتاب الذي نحن بصدد الحديث عنه يعتبر المرجع العام الأول

لكثير من دارسي اللغويات العربية وخاصة في الجامعات التي تستخدم اللغة الإنجليزية في التدريس، والمتعلمين للغة العربية من الناطقين بغيرها، والدارسين العرب في البلاد الأوروبية.

وقد يتساءل بعض القراء، لماذا استحوذ هذا المرجع على تلك الأهمية وخاصة من قبل دارسي علم اللغة العام وعلم اللغة العربية على وجه الخصوص في الغرب ؟ أرى أن هناك أسباباً عديدة لعل من أهمها، أنه يصعب على كثير من غير المتخصصين في اللغة العربية الرجوع إلى كتب قواعد اللغة العربية لصعوبة البحث فيها عن المعلومات التي يريدونها، بالإضافة إلى عسر التعامل معها مقارنة بالسهولة الواضحة لكتاب (قواعد اللغة العربية) A Grammar of the Arabic Language الذي ترجمه رايت (Wright) عن الألمانية لمؤلفه الأصلي كاسبري(Caspari). وأرى أن هناك تساؤلاً أهم بكثير مما ورد ذكره، ألا وهو: لماذا تحظى اللغة العربية بأهمية سياسية وإستراتيجية في الدول الغربية؟ مما لا شك فيه أن معرفة ثقافة شعب من الشعوب تساعد على معرفة كيفية التعامل معه بكفاءة والاستفادة من ثرواته ومواده الخام. ولهذا فالدراسات الاستشراقية تحظى بدعم منقطع النظير من الهيئات الحكومية والأهلية، الأكاديمية منها والإستراتيجية.

ومن ناحية أخرى ، فإن المنصرين والمستشرقين منهم على وجه الخصوص، قد رأوا في تعلم اللغة العربية وتسهيل تعلمها من قبل أعضاء الإرساليات التنصيرية واللغوية أهمية كبيرة، فلا نكاد نجد جامعة غربية عريقة تخلو من قسم متخصص في الدراسات الشرقية ومن بينها اللغة العربية والدراسات الإسلامية. وقد استفادت الدول المستعمِرة من نتائج البحوث والدراسات التي قام بها أولئك المستشرقون من أجل تفتيت معتقدات تلك الشعوب وثقافتها، وحول هذا الموضوع

يقول (ديفيد كار) David Karr ، وهو كاتب نصراني:

"لم تحرم القوى الاستعمارية النصرانية المسلمين من الحرية السياسية فحسب، بل لقد استنفدت كل الإمكانات لتحطيم عقيدتهم وثقافتهم. فلم يخدم المنصرون مصالح الدول الاستعمارية فقط ، بل استغلوا جهل المسلمين وحاجاتهم التعليمية والصحية والثقافية والاجتماعية، والتي ينتج عنها أزمات سياسية واقتصادية، أدت إلى التبعية السياسية والاقتصادية. وهذا مما مهد الطريق أمام الخدمات التنصيرية التي كانت لها أهداف أخرى غير مقدسة، منها تنصير المسلمين وضم أعداد منهم إلى المجتمع النصراني"[٦].

لمحة مقتضبة عن الكتاب :

لقد ألف كتاب قواعد اللغة العربية AGrammar of the Arabic Language المستشرق الألماني Caspari (كاسبري) . كما ترجمه Wright (رايت)[٧] إلى الانجليزية بتصرف في عام ١٨٧٤م ، وحسب قول (رايت) فإنه لم يكتف بمجرد الترجمة ، بل تعدى ذلك ليقدم إضافات عديدة . وكما زعم ، لم يسلم أي جزء من الكتاب من التغيير والإضافة ، فبعد أن كان عدد صفحات الكتاب ٢٥٧ زادت إلى ٣٥١ صفحة[٨]. فمن الإضافات التي زادها رايت ، المقارنة بين العربية و عددٍ من اللغات السامية الأخرى مثل العبرية والآرامية، وكان يصرح أنه يود أن يتعرف على اللغة السامية الأم. وبياناً للأهمية الكبيرة التي اكتسبها هذا الكتاب بين المستشرقين والمهتمين بدراسة اللغة العربية (arabists) ، فقد قام كل من الأساتذة روبرستون سميث[٩] (Roberston Smith) ودي خويه[١٠] (M. J. De Goeje) بمراجعة الكتاب وتقريظه، بعد أن توقف عن الصدور لردح من الزمن. وما هذا التعاقب على مراجعة الكتاب والاهتمام به إلا للقيمة القصوى التي يحظى بها في مجال دراسة اللغة العربية

وقواعدها. وبهذا فقد تواصل صدور هذا الكتاب والذي عادة ما يطلق عليه Wright's Book of Arabic Grammar (كتاب رايت لقواعد اللغة العربية)[١١] على أن رايت ـ كما أسلفنا ـ لم يؤلف الكتاب في جملته ، بل ترجمه وزاد عليه زيادات كثيرة وعلق على حواشيه ، مما جعل الكتاب ينسب إليه.

والنسخة التي بين يدي قامت بطبعها مكتبة لبنان في بيروت عام ١٩٧٤م . وقد لخص بيير كاتشيا (Pierre Cachia)، أهمية هذا الكتاب بقوله:

"لقد وجدت الأجيال من متعلمي اللغة العربية من الناطقين بالانجليزية في كتاب رايت مرجعاً أساسياً، ويبدو أنه يستحق الشهرة الواسعة التي اكتسبها، كما أنه سيبقى مرجعاً عملياً لفترة طويلة من الزمن فلقد تميز الكتاب ببعده عن التناقضات النظرية ، واهتمامه بالقواعد العملية للغة العربية الفصحى" [١٢] .

ولاشك أن كتاب رايت لقواعد اللغة العربية يُعدّ من المراجع الأساسية العملية لكل من يدرس قواعد اللغة العربية الفصحى أو جانباً منها، لا أقول من الناطقين بالانجليزية فحسب، بل لغالبية من يدرس علم اللغة (اللغويات) أو علم اللغة العربية من العرب أنفسهم ، فلا تكاد تخلو رسالة ماجستير أو دكتوراه لأي باحث عربي درس في الغرب من الرجوع إلى (رايت). وذلك لما تميز به هذا الكتاب من حسن الترتيب والتنسيق وسهولة الرجوع إلى المعلومات فيه، بالإضافة إلى بعده عن الاستطرادات التي لا صلة لها بدراسة القواعد ، وخاصة فيما يتعلق بالنحو والصرف[١٣].

وبهذا فإن كتاباً بهذه الأهمية ، وعلى هذا المستوى من المرجعية العلمية يحتاج بالإضافة إلى المراجعات والتنقيحات التي قام بها أساتذة اللغة العربية من المستشرقين، إلى مراجعة وتنقيح من قبل أهل اللغة العربية أنفسهم، لأنه ينقل للعالم وعاء ثقافتهم ولسان عقيدتهم،

وخصوصاً أن اللغة العربية قد أصبحت وسيلة تخاطب عالمية، ومفتاحاً لكثير من اللغات والعلوم والمراجع العلمية . وفي هذه الدراسة سنولى الاهتمام بإذن الله تعالى لجانب مهم في مراجعة هذا الكتاب، ألا وهو جانب الموضوعية في البحث العلمي والصدق في الاستشهاد الذي اتبعه المؤلف. بالإضافة إلى تبيين بعض أهداف المؤلف غير العلمية من خلال صفحات كتابه . وبهذا فسيكون البحث منصباً على أساليب المؤلف في انتقاء الاستشهادات اللغوية لخدمة أهدافه الفكرية والعقائدية .

منهج الدراسة :

إن من الأمانة العلمية ، أن يبين الباحث جوانب القوة والدقة العلمية ، كما يبين جوانب الضعف والانحراف عن المنهجية العلمية فيما يراجعه من كتب علمية[١٤] . ولقد اتبع الباحث هذا المنهج في مراجعته لاستشهادات (رايت) اللغوية في كتابه قواعد اللغة العربية، وفي تصورنا أن هذا غاية في الموضوعية لم يعهدها كثيرٌ من الكتاب الغربيين في مقالاتهم وبحوثهم العلمية. وعلى رأسهم (كاسبري) و(رايت) و (بروكلمان) و(برنارد لويس) (Bernard Lewis) . وما الكتاب الذي بين أيدينا إلاّ مثال لذلك التعسف العلمي والبعد عن الموضوعية . وبهذا فإن دراستنا تتبع منهجاً تحليلياً نقدياً لكتاب قواعد اللغة العربية .

وبما أنها دراسة تحليلية نقدية لكتاب قواعد اللغة العربية A Grammar of Arabic Language ومؤلفه الأول كاسبري (Caspari)، والذي ترجمه رايت (Wright) من الألمانية إلى الانجليزية ، فقد قام الباحث بدراسة متأنية لمحتويات الكتاب بجزئيه، الجزء الأول ٣١٧ صفحة والجزء الثاني احتوى على ٤٥٠ صفحة، أي ما مجموعه ٧٦٧ صفحة. وقد ركز الجزء الأول على قضايا الصرف في اللغة العربية، أما الجزء الثاني فقد خُصص لدراسة الظواهر النحوية في اللغة العربية. ومن العدل أن

نبين أهمية الكتاب كمرجع لقواعد اللغة العربية ، بل قد يكون أفضل المراجع المكتوبة باللغة الانجليزية عن قواعد اللغة العربية في مجالي الصرف والنحو. ولكن الهدف من مراجعة مثل هذا السفر المهم، معرفة مدى ابتعاد مؤلف الكتاب ومترجمه عن الموضوعية واتباع المنهج العلمي في البحث والتوثيق من أجل نفث معتقداتهم النصرانية وأفكارهم الاستشراقية بصفة كونهما مستشرقين سخرا جهدهما وأوقاتهما لدراسة اللغة العربية وثقافتها .

وحيث إن هذه الدراسة هي الأولى ـ حسب علمي ـ في التصدي لهذا الكتاب، فقد صرف الباحث جُلّ اهتمامه لدراسة طبيعة الاستشهادات اللغوية التي يسوقها المؤلف لقواعد اللغة العربية. ولأن مادة دراسة قواعد اللغة العربية مادة علمية ضمت ظواهر لغوية، فقد تفرض على الباحث استقصاء الموضوعية فيما يتعرض له. وحيث إن هذا البحث سيتطرق للإشكالات المنهجية المتعلقة بالاستشهادات اللغوية حول القواعد اللغوية للغة العربية، وبحكم انتماء مؤلف كتاب قواعد اللغة العربية للثقافة الغربية والعقيدة (اليهودية النصرانية) Judu - Christian ، فقد وجد الباحث مغالطات كثيرة جداً في استدعاء الاستشهادات من مصادر اللغة العربية.

وبعد الدراسة المستفيضة لجميع الأمثلة التي أوردت في كتاب قواعد اللغة العربية، قام الباحث بترتيب الإشكالات والمآخذ التي وجدها على النحو التالي :

أ ـ الاستشهادات من القرآن الكريم:

١ ـ إغفال ذكر رقم الآية أو حتى اسم السورة التي استقطعت منها.

٢ ـ اجتثاث أجزاء الآيات القرآنية من سياقاتها اللغوية، مما يؤدي إلى إعطاء معانٍ معاكسة تماماً لمعانيها الأصلية.

ب ـ الاستشهادات من أحاديث الرسول ﷺ :

١ ــ استخدام أحاديث الرسول ﷺ كأمثلة لغوية دون نسبتها للنبي ﷺ.

٢ ــ اتباع أسلوب انتقائيّ للأحاديث النبوية أدى إلى الإخلال بمعاني الأحاديث، أو بترها من سياقها.

جـ ــ انتقاء بعض الاستشهادات التي تدعو إلى التشكيك بمبادىء عقدية ثابتة:

١ ــ انتقاء بعض العبارات التشكيكية والمرتبطة بقضايا طائفية.

٢ ــ استشهادات باطلة.

٣ ــ استشهادات منتقاة من الإنجيل المحرّف.

وبهذا فقد بوب الباحث الاستشهادات وفقاً للمعايير المبينة أعلاه. فأورد المثال والصفحة، وإذا كانت الأمثلة كثيرة فاكتفى بإيراد أماكنها في الكتاب. والتفصيل في التعليق على بعضها. أما الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فقد أوردها الباحث كاملة مع توثيقها وتخريجها.

وسنتطرق في هذا المبحث لسؤال يطرح نفسه، وهو لماذا يلجأ بعض المستشرقين في كتاباتهم إلى التخلي عن الموضوعية والمصداقية العلمية؟ وتظهر الإجابة عن هذا السؤال من خلال إلقاء نظرة على الترابط الوثيق بين أهداف المستشرقين والمنصرين .

أ ــ استشهادات رايت بآيات القرآن الكريم :

اتصفت استشهادات (رايت) من القرآن الكريم بعدم الدقة من عدة وجوه :

أولاً :عدم ذكره لرقم الآية أو اسم السورة التي استقطعت منها تلك الاستشهادات.

ثانياً : اجتثاث أجزاءٍ من الآيات القرآنية من سياقها اللغوي، مما يؤدي إلى إعطاء معنى معاكس تماماً لمعناها الأصلي.

سأورد فيما يلي أمثلة لتلك المغالطات مبيناً رقم الصفحة، وفي حالات محدودة العدد قد أورد بعض الأمثلة.

أولاً : عدم ذكر رقم الآيات أو أسماء السور التي استشهد بها الكاتب

على بعض قواعد اللغة العربية، والأمثلة على ذلك كثيرة، بل لقد وجدت من الصعوبة حصرها كلها في هذا السياق المحدود، وقد تكرر هذا الأسلوب غير العلمي في الاستشهاد بالآيات في مواقع كثيرة منها ما ورد في الصفحات التالية على سبيل المثال لا الحصر:

٢١، ٢٢ ، ٢٣ ، ٩٨، ٩٩، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨، ١٠٩، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٩ ... الخ .

ومما يثير الدهشة أنه لم ينسب هذه الأمثلة إلى القرآن [١٥]، ناهيك عن عدم ذكر رقم الآية أو اسم السورة. وهذا لا يعني أنه لايعلم بأن هذه آيات قرآنية، ولكن ربما يكون إهمالاً للقيمة العظيمة للقرآن الكريم عند المسلمين. وقد توحي لمن يطلع عليها من غير المسلمين أنها مجرد أمثلة لا صلة لها بالدين . والأمر الذي يثير الدهشة أيضاً هو أن المؤلف عندما يقوم بدراسة مقارنة بين بعض القواعد اللغوية في لغات سامية أخرى مثل العبرية أو الآرامية، فهو يوثق الأمثلة توثيقاً دقيقاً، مع العلم أن مثل هذه الاستطرادات ليست من صلب الكتاب بل تبرز بعض الأحيان وأمثلة ذلك كثيرة منها :

١ ــ عندما يعود إلى العهد القديم فهو في الغالب يذكر رقم صفحة الآية والإصحاح كما في صفحة ١٥٩/٢ وذلك عندما ساق مثالاً باللغة العبرية من سِفر أيوب، الإصحاح الثالث والعشرين الآية ١٣ .

٢- أمثلة أخرى لاستخدام "مع " في اللغة العربية ومقارنتها بنظيرتها في الإنجليزية، وهنا ساق ثلاثة مواضع من العهد القديم كلها موثقة برقم الإصحاح والآية في صيغة توثيقية واضحة، كما في الصفحتين ١٦٤/٢ ، ١٦٥/٢ .

٣ ــ يسوق مثالاً آخر مقارناً في صفحة١٧١/٢ من سفر أيوب، الإصحاح العاشر، الآية السابعة والإصحاح السادس عشر، الآية السابعة عشرة.

٤ ــ يمثل على استخدام "ما " في العربية مقارناً إياها بنظيرتها في

العبرية فيحيل القارىء إلى المرجع بتوثيق كامل كما في صفحة ١٩٣/٢، حيث يحيل القارىء على سِفر أيوب الإصحاح التاسع الآية الثلاثين، وعلى مزامير داود (Psalms)، الإصحاح التاسع ، الآية الثانية، ثم يحيل القارىء على سِفر أيوب الإصحاح السابع والعشرين، الآية الرابعة عشرة، كما أحال على سفر الخروج (Exedus) الإصحاح الخامس عشر، الآية الخامسة.

ومن عجيب المفارقات أنك لا تكاد تجد مؤلف كتاب قواعد اللغة العربية (Wright) يجهد نفسه ولو في توثيق آية واحدة من كتاب الله من بين مئات الآيات التي استشهد بها. لماذا إذن كل هذا الجهد في توثيق الأمثلة الفرعية توثيقاً كاملاً، والإشارة المرجعية إليها عند ذكرها دون تلك التي تمثل صلب موضوع الكتاب. التفسير الوحيد لهذه الظاهرة هو أن المؤلف يوحي للقارىء بأن هذه الأمثلة لا تستحق التوثيق لأنها ليست من كتابه المقدس، أو أنه من الصعب جداً توثيقها لأنها غير مرتبة في الأصل ، فهو يوردها كما وجدها.

ثانياً : اجتثاث الآيات القرآنية من سياقها اللغوي كي تعطي معنىً معاكساً تماماً لذلك الذي تحمله في سياقها الأصلي.

لقد أذهلنا التعسف الواضح في انتقاء المؤلف لآيات بعينها من أجل الاستشهاد اللغوي، وخاصة حين يبتر بعض أجزائها ليوحي للقارىء أن هذه هيئتها التي وجدت عليها في القرآن الكريم، ووفق تحليلنا لطبيعة الاختيار، فقد لاحظت أنها قريبة جداً من أسلوب المنصرين في اجتثاث الآيات القرآنية من سياقها لخدمة أهدافهم التنصيرية، والرد بهتاناً وزوراً على ملاحظات المسلمين وغيرهم على عقائدهم الفاسدة. ولا نستطيع في هذا الوقت رغم توفر الشواهد القاطعة أن نتهم كاسبري ورايت [١٦] بميولهماالتنصيرية. وفقاً للأسلوب المتبع سلفاً، فإن مؤلف الكتاب

لم يدع للقارىء الفرصة للبحث عن مصدر تلك الأمثلة وموقعها في القرآن الكريم. فلم يكن هناك، كما هو الحال في جميع صفحات الكتاب، أي نسبة لسورة أو جزء أو آية من كتاب الله. وسوف أسوق عدداً من الأمثلة التي لا تدع مجالاً للشك بأن هناك نية مبيتة لأغراض تنصيرية أو لذبذبة أفكار الطلاب المسلمين عندما يرجعون لهذا المرجع (الممتاز) لقواعد اللغة العربية، خاصة أن كثيراً من الطلاب المسلمين الذين يدرسون علم اللغة في الغرب غالباً لا يكونون من ذوي العلم الشرعي. وفيما يلي بعض من تلك الأمثلة التي توضح وتدعم رأينا :

١ ــ يمثل المؤلف لاستخدام أداة النفي "لن" في اللغة العربية بالآية المبتورة :

﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰٓ ﴾ في صفحة ٢٢- (١٧).

٢ ــ كما يعطي المؤلف مثالاً لاستخدام "كان" في اللغة العربية من خلال هذه الآية المبتورة من كتاب الله لتعطي معنىً مغايراً تماماً لما تعنيه الآية في سياقها الأصلي.

﴿ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ﴾(١٨).

وقد قام المؤلف بترجمة هذه الآية المبتورة على وجهين مرة بكونوا ومرة يزعم أن (كونوا) تعني (إن تكونوا) أيضاً .

ومع وجود أمثلة أخرى في الصفحات ٥، ٣١١، ٣٤٦ ... الخ إلا أنني توقفت عند هذه الأمثلة لما فيها من خرق سافر لكل مبادىء الموضوعية والصدق في النقل ومنهجية الدراسات العلمية مما يسفر عن توجهات المؤلف الفكرية والعقدية، التي ربما قد دعته إلى افتراض مثل هذه المغالطات الكبيرة التي لا يرضى بها أي باحث منصف مهما اختلفت مشاربه. وهذا غيض من فيض، وما تخفي صدورهم أكبر [١٩].

٣ ــ ويأتي المؤلف بمثال آخر على "ما"، فيسرد الآية القرآنية التالية مبتورة من سياقها الأصلي، فلا تعطي معناها

كاملاً كما هو في سياقها بل تعطي ايحاءً سلبيا، طالما حاول المستشرقون إلصاقه كتهمة جائرة بالإسلام.

﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾(٢٠). صفحة ٣١٥.

فالمؤلف من خلال هذا الاستشهاد المبتور يوضح جلياً تلك الفكرة الخاطئة عند الغربيين في أن المسلم يستطيع أن يتزوج ما يريد من النساء، أو أن عليه أن يتزوج أربعاً. فلقد كانت تلك الأفكار والشائعات المغرضة ضد الإسلام والمسلمين منذ بداية عهد الاستشراق. وهذا كان من الأسباب التي أدت إلى أن ينظر إلى تعدد الزوجات في الغرب وفي بعض بلاد المسلمين على أنه ممارسة غير حضارية، وليس هذا البحث المكان المناسب للرد على هذه الشبهات(٢١).

٤- ويأتي مؤلف كتاب قواعد اللغة العربية باستشهاد آخر يمثل به على استخدام الهمزة للاستفهام. فما كان منه إلا أنْ بتر آية من كتاب الله من سياقها، لتعطي معنىً يتنافى مع معناها الأصلي في كامل سياقها ﴿ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾(٢٢). صفحة٦.

فإننا نجد وجهاً للشبه في طبيعة اختيار رايت لهذا المثال المبتور ومقولة أولئك الملحدين الكافرين في استهزائهم بالمؤمنين، وقد ظهرت جلية في بتره للجزء المذكور من الآية، لتوحي بهتاناً وزوراً، أن المؤمنين موصومون بالسفاهة في القرآن. وهذا غاية في عدم احترام النصوص القرآنية، وخطأ فادح ومتكرر، لا يدع مجالاً للشك في أن هناك نية مبيتة خلف مثل هذه الممارسات البعيدة عن الموضوعية العلمية والأمانة في النقل . ولكن الرد الإلهي يليق بهم ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ .

٥ ــ ويواصل المؤلف في سوق سلسلة الاستشهادات المبتورة عن سياقها القرآني في أسلوب عجيب للغاية. فيمثل هنا باستشهاد على استخدام "لا" النافية في اللغة العربية بعد واو العطف،

﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾(٢٣) (صفحة ٣٢٧).

ومن الظاهر للعيان أن هذا البتر للآية عن سياقها يقصد منه ماقصده المشركون، وهو أن الله رضي بالشرك، وقد رد الله عليهم هذا الزعم الباطل في آخر الآية بقوله :﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾.

ب - استشهادات المؤلف بأحاديث الرسول ﷺ:

لقد اتصفت استشهادات المؤلف من الحديث النبوي الشريف من أجل إثبات بعض القواعد اللغوية بخاصيتين :

أولاً : استخدام أحاديث الرسول كأمثلة لغوية دون نسبتها للنبي وكأنها من إنشاء المؤلف.

ثانياً : اتبع المؤلف أسلوباً انتقائياً لا يقل في عدم موضوعيته عن اجتثاثه للآيات القرآنية من سياقها، فلقد كان لهذا الأسلوب الانتقائي عظيم الأثر في الإخلال بمعاني الأحاديث.

وسوف أتحدث بالتفصيل عن كل نقطة على حدة، وبيان مدى إخلالها بالمنهجية العلمية في البحث.

أولاً : عدم توثيق الأحاديث النبوية عند إدراجها كأمثلة لظواهر وقواعد لغوية في اللغة العربية.

لقد أورد المؤلف عشرات الأحاديث النبوية أو مقتطفات منها في مواضع عدة للاستشهادات اللغوية من كلام خير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنه لا ينسبها أبداً إلى الرسول، بل يتجاهل ذلك تماماً وكأنه هو الذي أتى بها، مع العلم أن حديث الرسول قد وثق توثيقاً علمياً لم يحظ به ما يسمَّى الكتاب المقدس عند النصارى، وقد حظي ضعيف الأحاديث النبوية من التحقيق والتخريج والتوثيق ما لم تَلْقَه الأناجيل(٢٤)، وأمثلة تلك المغالطات كثيرة جداً نجدها قد شوهت كثيراً من صفحات كتاب قواعد اللغة العربية، مما حط من مكانته العلمية.

ومن أمثلة هذا الإهمال في التوثيق،

عدم إرجاع الأحاديث النبوية لقائلها عليه الصلاة والسلام ،ناهيك عن عدم إرجاعها لكتب الحديث وتصانيفه التي أخذت منها. ونجد هذه الاستشهادات منثورة في الصفحات ٣٠، ٧٧، ٧٩، ١٤٥ ، ١٤٧، ٤٨ ، ١٥٥، ١٦٩، ٢٠٩ وربما أماكن أخرى عديدة.

فكما هو الحال في التعامل غير العلمي مع آيات كتاب الله في استخدامها كأمثلة للاستشهاد اللغوي دون بيان سورها، فقد تعامل مع أحاديث الرسول كأمثلة لغوية دون أي اعتبار للأمانة العلمية في النقل وإرجاع النصوص لقائلها أو مصادرها الأصلية، وهذا أمر مستهجن وغير مقبول وخاصة في كتاب يتحدث عن علم راقٍ في علوم اللغة .

ثانياً : اتباع المؤلف أسلوباً انتقائياً يؤدي إلى الإخلال بمعاني الأحاديث النبوية أو بترها من سياقها.

وكما هو الحال مع بعض الآيات القرآنية التي اجتثها المؤلف من سياقها لتعطي معنى مخالفاً لمعناها الأصلي، فقد اجتث بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم من سياقاتها اللغوية لتعطي معنىً ناقصاً أو مخالفاً لما هو في الأصل. وأمثلة ذلك كثيرة أسوق منها:

١ ــ استشهد المؤلف بأحاديث بترها من سياقها كما في صفحة (٣٠)، ليعطي معنىً مخالفاً لما هو عليه الحال في الأصل فقد أورد الحديث كمايلي :

"خير الناس رجل في شعفة في غنيمة له يعبد الله حتى يأتيه الموت".

بينما أصل الحديث :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : "من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله، يطير على متنه، كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه، يبتغي القتل والموت مظانه، أو رجل في غنيمة، في رأس شعفة من هذه الشعف، أو بطن واد من هذه الأودية، يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلا في خير"[٢٥] .

كما أورد الإمام الترمذي هذا الحديث من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنه. مرفوعاً : "ألا أخبركم بخير الناس؟ رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله، ألا أخبركم بالذي يتلوه؟ رجل معتزل في غنيمة له يؤدي حق الله فيها "[٢٦].

وبهذا نجد أن الاستشهاد الذي ساقه (رايت) بذلك الكلام المبتور لا يستقيم في معناه مع كامل الحديث. فالاستشهاد كما أورده المؤلف يوحي بأن الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو للعزلة والبعد عن الناس أو عدم الاختلاط بهم، وأن من يعتزل الناس هو خيرهم، وهذا هو ما كانت تدعو إليه النصرانية في رهبانيةٍ ما كتبها الله عليهم ولا رعوها حق رعايتها. بينما الإسلام دين الحياة. فالرسول ينفي تلك التهمة المبتورة المكنوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقول في حديث رواه الترمذي وغيره :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المسلم إذا كان مخالطا للناس، ويصبر على أذاهم، خير من المسلم الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم"[٢٧].

أما الصلاة والسلام على النبي فيستثقلها معظم المستشرقين بل لا يلقون لها بالاً ، لأنهم لا يؤمنون بأن محمداً صلى الله عليه وسلم نبي من أنبياء الله ورسله. بل يعتقدون أنه مفتر على الله وليس نبياً مرسلاً من عنده تعالى[٢٨]، على النقيض تماماً مما يعتقده المسلمون في أن أنبياء الله جميعاً، هم أنبياؤهم وجاؤوا أقوامهم بالإسلام، وكان دينهم هو دين الإسلام، وهذا دليلٌ على عالمية هذا الدين وشمولية هذه الرسالة ورسوخ أصولها التاريخية. وأمثلة ذلك كل الأحاديث التي استشهد بها في كتابه على استدلالات لغوية، بل كما أسلفنا لم يجهد المؤلف نفسه ولو بنسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

جـ : انتقاء بعض الاستشهادات التي تدعو إلى التشكيك بمبادىء عقدية ثابتة:

تجلى هذا الأسلوب الانتقائي من خلال اختيار الاستشهادات اللغوية في

ثلاثة أساليب :

أولاً : انتقاء بعض العبارات التشكيكية والمرتبطة في الغالب بقضايا طائفية .

ثانياً : استشهادات باطلة.

ثالثاً : استشهادات منتقاة من الإنجيل المحرف.

أولاً : انتقاء بعض العبارات التشكيكية والمرتبطة في الغالب بقضايا طائفية .

من خلال الدراسة في كتاب قواعد اللغة العربية (لرايت)، وقع الباحث على مواضع استشهد فيها المؤلف على بعض القواعد النحوية بأمثلة تحمل في طياتها أفكاراً عقدية منحرفة يرفضها منهج أهل السنة والجماعة. كما أنها تعيد للذاكرة تاريخاً حزيناً مرَّ به المسلمون، ومواجع تبعث الأسى، عمد المستشرقون على إثارتها. وأمثلة هذا الانتقاء الذي لا يمكن أن يوجد له تفسير إلا الحقد الاستشراقي في بعث تلك الفتن .

أ ــ ولكي يستشهد (رايت) على استخدام "عند" في اللغة العربية ، لم يجد إلا هذه العبارة في كل أسفار اللغة العربية لكي يسوقها من هذه الاستشهادات :

"كان عنده أن القرآن مخلوق" (صفحة ١٧٩).

وجلي ما تحمله هذه العبارة من منافاة لعقيدة أهل السنة والجماعة بأن القرآن الكريم كلام الله المنزل، وما واجهه أئمة الإسلام وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في محاربة أهل الفكر المعتزلي. ويسوق (رايت) مثل هذه الأمثلة هنا لبعث ذلك الفكر الطائفي وبث روح الفتنة في الأمة من جديد، ولو بشكل غير مباشر مثل ما يفعل (رايت) هنا. والخطير في هذا الكتاب كما أسلفنا هو أن غالبية قرائه من غير المسلمين أو الطلبة المسلمين المستغربين والذين تكون معرفتهم بالإسلام في الغالب ضحلة وسطحية، فقد يسهل صيدهم في مثل هذه المتاهات الاستشراقية الفكرية.

ب ــ وفي استشهاد آخر على

ضمير الفعل المستتر في اللغة العربية، لم يجد رايت ما يدلل به على هذه الظاهرة في النحو العربي إلا أن يأتي بهذا المثال: محمد رسول الله . عليّ ولي الله (صفحة ٢٦٤) ولا شك أن روح الطائفية التي يزرعها أولئك الكتاب المستشرقون تظهر جلية في كتاباتهم ، فهم في غالبيتهم من غير المنصفين[٢٩] .

ثانياً : استشهادات أخرى باطلة :

فمما لا شك فيه أن الإتيان بأمثلة على القواعد النحوية أمر متيسر جداً، ولكن يبدو أن (رايت) كان يبحث عن نوعية خاصة من الاستشهادات. فليس كافياً بالنسبة له أن يأتي بمجرد مثال، ولكن لا بد أن يكون هذا المثال ذا مواصفات خاصة. وقد سقنا بعضاً من تلك الأمثلة ذات التوجه الاستشراقي النصراني.

أ ـ وهنا نسوق مثالاً آخر لاستشهادات المؤلف على استخدام أسلوب القسم الذي يتبعه نفي :

"وحياة فرعون لا خرجتم من ههنا". (صفحة ٣٠٤)

فهذا استشهاد باطل لأنه لا يجوز الحلف بغير الله، بل هو شرك وكبيرة من الكبائر، فكيف يُدرس مثل هذا لغير المسلمين فيأخذون انطباعاً خاطئاً عن الإسلام، ويضلل أبناء المسلمين المستغربين على ما لديهم من بضاعة مزجاة في دين الله [٣٠].

ثالثاً : استشهادات منتقاة من الإنجيل المحرّف:

لم يكتف مؤلف كتاب قواعد اللغة العربية باجتثاث الآيات القرآنية من سياقها لتعطي معاني تختلف عن معانيها الأصلية، بل تعدى ذلك إلى جلب أمثلة من الإنجيل المحرف، تتعارض تماماً مع عقيدة المسلمين، وهذا بلا شك، إيحاء بارتباط المؤلف بعقيدته النصرانية ورغبته في دس ما يستطيع من سمٍ في ذلك الكتاب اللغوي القيّم، فيكون بذلك قد أدى رسالته في الولاء لدينه وأمته. ولكن على حساب الموضوعية والأمانة في النقل، وبذلك فهو يتعارض مع مبدأ الأمانة العلمية في البحث والتوثيق في

النقل.

أ ــ فقد أورد (رايت) هذا المثال من الإنجيل :

"لو كانوا عرفوها لما كانوا صلبوا رب المجد" (صفحة ٨)

فما وجد المؤلف مثالاً لاستخدام "كان" في اللغة العربية إلا في الإنجيل المحرف الركيك الترجمة. ومما لا شك فيه أن هذه الجملة تتحدث عن عقيدة الصلب التي تعتبر محور ارتكاز النصرانية في تعارضها مع تعاليم القرآن الكريم الربانية[٣١]. وقد سبق أن أشرنا إلى أن المؤلف قد رجع إلى أمثلة أخرى كثيرة من الإنجيل مع توثيقها إلا أنه في هذا المثال جعله مبهماً ، وهذا أسلوب آخر استخدمه المؤلف في خلط الآيات القرآنية بالأشعار والجمل الأخرى، كما في الصفحات ٣٧، ٢٦٤، ٢٦٥.

ب ــ كما أن المؤلف في هذا الإطار لا يتورع أن يستقطع الآيات القرآنية من سياقها لتعطي معنى مغايراً لفهمها الصحيح في سياقها، ومثال ذلك هذا المقطع المنتزع من الآيات القرآنية :

(وقولهم إنا قتلنا المسيح) .(ص ٤٧).

جـ ــ كما أن المؤلف لم يأل جهداً في إدخال عقيدته النصرانية من خلال الأمثلة التي كان ينتقيها بعناية قصوى من أجل الاستدلالات النحوية، فنجده في صفحة ٢٥٩ يسوق مثالين يعدان من أكثر ما يستشهد به المنصرون حال محاولتهم استقطاب الناس للنصرانية ألا وهما :

"الله هو الحياة والحق"

وفي ظاهر الأمر لا غبار بأن الله هو الحق وهو منشىء كل حي وخالقه والقائم عليه، فهو الحي القيوم ولكن مفهوم الإله عند النصارى والذي يقصدون به عيسى عليه السلام يختلف تماماً عن مفهوم الموحدين الصادقين، والمثال الآخر :

"أنا هو الطريق والحق والحياة"

وهم ينسبون هذه العبارة للمسيح عليه السلام لتعطي معنىً يتنافى مع التوحيد الخالص لله سبحانه، فهم يعطون عيسى البشر الرسول من خصائص

الألوهية، ما جعلهم يقولون إنه هو الله ، أو ابن الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

د ــ وفي موضع آخر في الصفحة ٢٨٠، يأتي المؤلف بمثال لا يدع شكاً ولا ذريعة لأحد أنَّه يحمل فكراً نصرانياً، ينفثه من خلال كتابه مرتدياً شعار الموضوعية وممتطياً الأمانة العلمية :

"آمنت بطبيعتي المسيح ومشيئتيه كلتيهما"

ولقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن هذا هو مربط الفرس في انحراف النصرانية كما أنه ركيزتها التي بنيت عليها. فما يعنيه هذا المثال أن المسيح ذو طبيعتين ناسوتية ولاهوتية، فما يبدو للناس هو طبيعته الناسوتية في شكل إنسان، ولكن ما يخفى عليهم هو طبيعته اللاهوتية في صفة الرب، ولكل طبيعة مشيئة تليق بها حسب زعم النصارى الضالين[٣٢] .

الخاتمة :

لقد راجعنا كتاب قواعد اللغة العربية لرايت من أجل البحث عن الإشكالات المنهجية التي وقع فيها المؤلف. وذلك من خلال استقصاء طبيعة الاستشهادات اللغوية التي ساقها المؤلف للتمثيل على القواعد النحوية للغة العربية. وقد انصب البحث على كشف الستار عن العوامل الحقيقية وراء الطبيعة غير العلمية لاستشهادات المؤلف التي رتبت على النحو التالي : ــ

أ ــ الاستشهادات من القرآن الكريم، وقد جانب المؤلف فيها الأسلوب العلمي في التوثيق تمثل في عدم الاهتمام بذكر أرقام الآيات القرآنية التي ساقها، أو مواقعها في السور القرآنية، وكأنها جمل من وحي إلهامه. كما أن مؤلف كتاب قواعد اللغة العربية قد حاد عن الأمانة العلمية في البحث، وذلك من خلال اقتطاعه أجزاء الآيات القرآنية من سياقاتها اللغوية لتعطي معاني معاكسة لمعانيها الأصلية، وكما أسلفنا، فهذا

يتعارض مع الموضوعية في التعامل مع الاستشهادات اللغوية وخاصة تلك التي أخذها من كتاب الله عز وجل منفصلة عن تمام السياق .

ب ـ الاستشهادات من الحديث النبوي الشريف. لقد تعامل رايت مع الأحاديث النبوية بالأسلوب نفسه الذي اتبعه مع الآيات القرآنية، من حيث عدم الدقة في التوثيق، بل انعدامه، وتقمصه أسلوباً انتقائياً يخل بمعاني الأحاديث النبوية بعد أن انتزعها من سياقاتها.

جـ ـ استشهادات انتقائية تدعو إلى التشكيك بمبادىء إسلامية ثابتة، وقد تبلور ذلك من خلال انتقاء بعض العبارات التشكيكية والتي ترتبط في الغالب بقضايا طائفية، بالإضافة إلى بعض الاستشهادات غير المقبولة في إطار اللغة العربية لغة الإسلام، ولم يقف المؤلف عند هذا الحد، بل لم يتورع عن الاستشهاد بعبارات من الإنجيل المحرّف، تعتبر من المرتكزات الأساسية للدين النصراني المحرّف.

وتحرياً للعدل والمصداقية، فإن كتاب قواعد اللغة العربية لرايت يعتبر مرجعاً متميزاً في بابه، فقلما يوجد مثله باللغة الانجليزية حول قواعد اللغة العربية كما أنه يعتبر مرجعاً أساسياً لكثير من الباحثين الغربيين والمبتعثين من اللغويين العرب "المستغربين" لكن تلك المغالطات وعدم المصداقية المنهجية تدعو للحذر من التأثيرات السلبية التي قد تعكر صفو من يريد الاستفادة من الكتاب.

وكما بينا بأن عدم اتباع المؤلف للمنهجية العلمية في التأليف، أدى إلى نتائج غير مقبولة علمياً، قللت من مكانة الكتاب رغم تفرده في بابه وهذا يستوجب تنقيح الكتاب وتنقيته من الشوائب التي علقت به ليمكن الاستفادة منه. فواقعنا في الوقت الحاضر قد تغير عما كان عليه خلال القرن التاسع عشر الميلادي. فلقد أثريت المكتبات بالمراجع الكثيرة، كما أن المسلمين قد قفزوا إلى مراحل متقدمة نسبياً عما كانوا عليه في ذلك الحين. كما أن نظرة المسلمين

لأنفسهم ونظرة المستشرقين لهم قد تغيرت، وهذا يستوجب مراجعة علمية جديدة لهذا الكتاب وما يشابهه من كتب المستشرقين، وذلك باتباع أسلوب علمي رصين مرتبط بالواقع والمعطيات الجديدة ، فقد يكون هناك ما يبرر الرجوع إلى مثل هذا الكتاب في الماضي، أما في الوقت الحاضر، فقد تبدلت الأوضاع، فإما أن يحقق مثل هذه الكتب، أو أن يطوى في حيز النسيان.

وإن استمرار كتاب قواعد اللغة العربية كمرجع عن اللغة العربية مكتوب باللغة الإنجليزية لدليل على الحاجة القصوى لتبسيط قواعد اللغة العربية للناطقين بغيرها، حتى تكون في متناول أيديهم بأسلوب سلس ومبسط يجعل الحاجة للرجوع إلى مثل تلك المراجع المغرضة ثانوية. وخصوصاً أن هناك توجهاً لتعلم اللغة العربية من قبل الغربيين لأسباب كثيرة منها :

١ ــ المصالح الاقتصادية التي تربط الدول الغربية بالدول العربية.

٢ ــ الاهتمام بدراسة ثقافات دول العالم الثالث، ولذلك أهمية خاصة في اتخاذ القرارات السياسية وبناء العلاقات الدولية.

٣ ــ وجود جاليات مسلمة كبيرة في الدول الغربية.

٤ ــ استقطاب بعض البلدان الإسلامية وخاصة الغنية منها لأعداد ليست باليسيرة من الكفاءات المهنية والعلمية من الدول الغربية والشرقية، للمشاركة في تنفيذ خططها التنموية.

وفي الختام، فلا إخال باحثاً منصفاً يشك في العلاقة بين أساليب (رايت) في مغالطاته وبين انتماءاته النصرانية، وهذا هو حال غالب المستشرقين. فالعلاقة بين الاستشراق والتنصير قوية جداً، بل إنَّ كليهما دعامة للاستعمار، والفرق بينهما يظهر فيما يراه محمد البهي حين يقول:

"إن الاستشراق أخذ صورة البحث العلمي وادعى لبحثه الطابع العلمي الأكاديمي، أما دعوة التنصير فقد بقيت في حدود مظاهر العقلية العامة، أي

العقلية الشعبية، وبينما استخدم الاستشراق الكتاب والمقال في الحملات العلمية، سلك التنصير طريق التعليم المدرسي في دور الحضانة ودور الأطفال والمراحل الابتدائية والثانوية للذكور والإناث على السواء، كما سلك سبيل العمل الخيري الظاهري في المستشفيات ودور الضيافة والملاجيء للكبار، ودور اليتامى واللقطاء"(٣٣)

الهوامش

(١) ذكر صاحب كتاب الملل والنحل (أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني) أن الجاحظ كان من فضلاء المعتزلة المصنفين لهم ، وقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط وروج كثيراً من مقالاتهم بعباراته البليغة ، وحسن براعته اللطيفة .
الشهرستاني - الملل والنحل ، تحقيق عبدالعزيز محمد الوكيل ، مطبعة دار الفكر ، بيروت .

(٢) ندد الحافظ ابن حجر في نقده المسعودي وكتبه حيث قال: " وكتبه طافحة بأنه كان شيعياً معتزلياً حتى إنه قال في حق ابن عمر أنه امتنع عن بيعة علي بن أبي طالب ثم بايع بعد ذلك يزيد بن معاوية والحجاج لعبد الملك بن مروان ، وله في ذلك أشياء كثيرة (لسان الميزان ، الجزء ٤ ، ص ٢٢٥) .
وقد أشار الدكتور السويكت في كتابه منهج المسعودي في كتابة التاريخ إلى أن لدى المسعودي ميولاً شيعية قوية (ص ٧٤) .
كما أشار إلى تعاطفه العلوي في معالجة التاريخ الإسلامي ، على الرغم من محاولته الظهور بمظهر المؤرخ المحايد والمنصف، (ص٣٩٧).ومما لا شك فيه أن المسعودي قد خدم التشيع بأسلوب خفي استطاع أن يموه على كثير من الناس ، (ص ٤٠٠).
الدكتور سليمان بن عبدالله السويكت . ١٤٠٧هـ ، منهج المسعودي في كتابة التاريخ .

(٣) أحد أشهر اللغويين الأمريكيين في هذا العصر ،بالإضافة إلى شهرته الواسعة من خلال كتاباته وآرائه في السياسة.

(٤) Fredrick J. Newmeyer . The Politics Linguistics Chicago University Press , Chicago ., 1986, P 78..

(٥) غيثان جريس ، افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية . الطبعة الأولى ، مطبعة مازن (١٤١٤هـ /١٩٨٤م) إصدار نادي أبها الأدبي .

(٦) David Karr . International Review of Mission . Vol . L XV , No. 260, October 1976 : p.p.458-9

(٧) W. Wright (1874) . A Grammar of the Arabic Language . Librairie du Liban . Beirut 1974.

(٨) المرجع السابق ، (ص ٩) من ا لتقديم .

(٩) كان أستاذاً للغة العربية في جامعة كامبرج

(١٠) أستاذ اللغة العربية في جامعة ليدن .

(١١) [مؤلف كتاب
The Monitor : A Dictionary of Arabic Grammatical Terms
- والذي يمكن ترجمته بالمراقب : معجم مصطلحات النحو والصرف في اللغة

العربية]، نشرته مكتبة لبنان ومطبعة لونغمان (Longman) في عام1973.

(١٢)المرجع السابق ، صفحة التقديم (Preface) ، ص ٥

(١٣) ويشير جريشة والزيبق إلى بعض أساليب المستشرقين في هذا المجال فيقولان :

"ولا ريب أن أخطر آثار الاستشراق هو اعتبار كتب المستشرقين وبحوثهم مراجع أساسية في التاريخ واللغة والسيرة والفقه والعقائد وغير ذلك ، وخاصة في الجامعات والمعاهد العالية أو في دراسات المبعوثين إلى الجامعات الغربية في أوروبا وأمريكا ، الذين يقعون دائماً تحت سيطرة الاستشراق والأساتذة اليهود والنصارى المتعصبين ، ثم يعودون إلى بلادهم فيحتلون مناصب التوجيه الثقافي والتعليمي ، ويفرضون ما تلقوه من الغرب من سموم باسم التجديد وحرية البحث" ص ٢٦

(١٤) ينتقد ابن خلدون في مقدمته أولئك المؤرخين الذين لا يتبعون منهجية واضحة في الدراسة تجنبهم الزلل والأغلاط ، التي عادة ما يكون سببها الاعتماد على مجرد النقل ولم تحكمهم أصول الدراسة العلمية والحيد عن جادة الصدق (ص٩) . كما أشار إلى بعض المغاليط التي وقع فيها بعض المؤرخين فذكر منها حديث المسعودي عن جيوش بني إسرائيل في عهد موسى عليه السلام .. وقال إن عدم المصداقية " مظنة للكذب ومطية للهذر " (ص ١٠) .

علي جريشة ومحمد الزيبق : أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، دار الاعتصام، القاهرة ١٣٩٩هـ

ابن خلدون . المقدمة . تشكيل رشيد عطية وتدقيق عبدالله البستاني ، مكتبة لبنان ، الطبعة الرابعة ،١٩٩٠م .

(١٥) هذا لا يعني أنه لا يعرف مواقع تلك الآيات المبتورة من القرآن الكريم ، لأنه في موضع واحد فقط في صفحة٢٦٤ ، ذكر مع استشهاده من القرآن رقم الآية والسورة التي عاد لها .

(١٦) المؤلف الأصلي للكتاب .

(١٧) أصل الآية ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (البقرة ١١١) .

(١٨) أصل الآية ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا ، قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ (البقرة ١٣٥) .

(١٩) ويشير جريشة والزيبق إلى بعض آثار ما يقوم به المستشرقون في مغالطات وما يلقونه من شبه ، يقول:" يعمل المستشرقون على إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم ، والتحكم فيما يرفضونه أو يقبلونه من النصوص ، وكثيراً ما يحرفون النص تحريفاً مقصوداً ، ويقعون في سوء الفهم - وعن عمد أحياناً - في معنى النص حين لا يجدون مجالاً للتحريف"، ص ٢٤ .

لدكتور علي محمد جريشة ومحمد شريف الزيبق . أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، دار الاعتصام ١٣٩٩هـ .

(٢٠)أصل الآية كاملة ،قال تعالى: (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع . فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة. أوما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا} (النساء :آية ٣)

(٢١) ألف بلال فيليبس(Bilal Philips) وزوجته جميلة جونز (Jameelah Jones) كتاباً باللغة الإنجليزية بعنوان تعدد الزوجات في الإسلام ، أعتبره من خيرة الكتب حول هذا الموضوع مع العلم أنهما أمريكيًا الأصل . وهما ممن هداهم الله للإسلام ، فعلموا قيمة هذه الميزة العظيمة لشريعة متميزة في شرائع

الإسلام، وردا في كتابهما ردا وافيا على كل تلك الشائعات والشبهات التي تثار حول قضية تعدد الزوجات، آخذين في الاعتبار حال المرأة والممارسات الجنسية في البلاد الغربية كما أشارا إلى ضوابط تعدد الزوجات في الإسلام ، وكتبا بإسهاب جيد حول الحقوق والواجبات في ذلك الشأن .
كما بينا أن تعدد الزوجات كان أمرا موجودا في كل الثقافات والشعوب قبل الإسلام ، وإن كانت الشريعة الإسلامية ، هي التي حددت بأن لا يزيد العدد عن أربع نساء . بينما لم يكن هناك أي حد لعدد الزوجات التي يمكن أن ينكحهن الرجل في الشرائع الأخرى ، وقد بينا على وجه الخصوص أن ذلك كان من ضمن التعاليم اليهودية و النصرانية ، فلا يوجد في الإنجيل ولا التوراة في وضعهما الحالي كلمة واحدة تحد من تعداد الزوجات ، بل على العكس ، فلو ألقينا النظرة على التوراة لوجدنا أن هناك من ملوك وأنبياء بني إسرائيل من قد عدد بالمئات، فمثلاً ، هذا الكتاب المقدس يذكر أن سليمان عليه السلام قد تزوج بسبعمائة امرأة من بنات الملوك وثلاثمائة من الإماء . (سفر الملوك الإصحاح التاسع ، الآية ١٦) .

Jameelah Jones & Bilaal Philips . Plural Marriage in Islam . International Islamic Publishing House, Riyadh,1408 H. p.2

(٢٢) الآية في سياقها الأصلي الكامل :
﴿ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ﴾ (البقرة :١٣) .

(٢٣) الآية كاملة كما وردت في سياقها القرآني ، قال الله تعالى :
﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴾ (الأنعام: ١٤٨)

(٢٤) تحدثت الدكتورة عزيّة علي طه في دراستها القيمة عن منهجية جمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مقارنة بالأسلوب الذي جمعت به كتب الإنجيل ، فوجدت أن جل ما في الإنجيل من روايات لا يصل حتى إلى رتبة الحديث الضعيف ، كما صنفه أئمة الحديث بحال من الأحوال ، بل كل تلك الروايات تعتبر في جملتها موضوعة لو طبق عليها منهج مصطلح الحديث النقدي .
الدكتورة عزيّة علي طه : منهجية جمع الأناجيل وجمع السنة النبوية الشريفة : دراسة مقارنة . دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٩٨٧م .

(٢٥) رواه مسلم في : ٣٣ ـ كتاب الإمارة، ٣٤ ـ باب فضل الجهاد والرباط ـ برقم (١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧) ، (١٥٠٣/٣ ـ ١٥٠٤) .
كما رواه النسائي في الكبرى : ٥٠ ـ كتاب السير ، ١٥٤ ـ باب الفضل في ذلك (أي : في السبق إلى النفير ، وترك انتظار الناس في ذلك.

(٢٦) رواه الترمذي (١٨٢/٤) وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه .

(٢٧) رواه الترمذي في : ٣٨ ـ كتاب صفة القيامة ، ٥٥ ـ باب ، برقم (٢٥٠٧) ، (٦٦٢/٤) وقال عن شيخ من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم.
ورواه أحمد في المسند (مسند ابن أبي عمر : ٤٣/٢).
ورواه البخاري في الأدب المفرد (١٨ ـ باب الذي يصبر على أذى الناس ، برقم ٣٨٨) ، (٤٧٨٨) .
كما رواه جماعة آخرون .

(٢٨) موضع واحد فقط ذكر فيه رسول الله ،

ولكنه أعقبه بجملة تُوحي برغبته في تشجيع الألفاظ الطائفية في صفحة ٢٦٤ .

(٢٩) وهذا مصداق لوصف الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز لليهود والنصارى عامتهم بقوله: ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ (البقرة١٢٠) .

(٣٠) ومما رواه الترمذي وحسنه ورواه الحاكم وصححه حديث عمر بن الخطاب عن النبي صلاة الله وسلامه عليه:
" من حلف بغير الله فقد كفر ، أو أشرك"
فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ٤٣٠ ـ ٤٣١) .
الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ : فتح المجيد : شرح كتاب التوحيد ، مراجعة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، طبعة مكتب دار المعرفة ، الرباط ، المغرب .

(٣١) قوله تعالى : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غُلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً * وبكفرهم وقولهم على مريم بُهتاناً عظيما * وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبه لهم وإنّ الذّين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلاّ اتباع الظن وما قتلوه يقينا * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما ﴾ (النساء ١٥٥ ـ ١٥٨)

(٣٢) شيخ الإسلام ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . الجزء الأول . (ص٢١٦ ـ ٢١٧) .

(٣٣) محمد البهي ، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٧٥م ، ص ٤٥٩ ـ ٤٦٠ .

قائمة المصادر والمراجع العربية

١- القرآن الكريم .

٢- ابن تيمية ، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم:الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . تقديم وإشراف علي السيد صبح المدني . الجزء الأول .

٣- ابن حجر ، الحافظ أحمد بن علي العسقلاني: لسان الميزان ، الجزء الرابع .

٤- ابن حنبل ، أحمد،المسند . تحقيق عبدالقادر أحمد عطا ومحمد أحمد عاشور . القاهرة ،كتاب الاعتصام،١٣٩٤هـ .

٥- ابن خلدون ،المقدمة .تشكيل رشيد عطية وتدقيق عبدالله البستاني ، الطبعة الرابعة بيروت ، مكتبة لبنان . ١٩٩٠م .

٦- آل الشيخ ، عبدالرحمن بن حسن:
فتح المجيد شرح كتاب التوحيد . مراجعة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، طبعة مكتبة دار المعرفة .

٧- البهي ، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي . القاهرة، مكتبة وهبه ، ١٩٧٥م .

٨- جريس ، غيثان علي :افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية. إصدار نادي أبها الأدبي ، أبها ، مطبعة مازن ، ١٤١٤هـ .

٩- جريشة ، علي محمد ، والزيبق ، محمد شريف : أساليب الغزو الفكري للعالم

الإسلامي. القاهرة ، دار الاعتصام ١٣٩٩هـ .

١٠ - خليل ، عماد الدين : قالوا عن الإسلام. الرياض ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ١٤١٢هـ .

١١- السويكت ، سليمان بن عبدالله :منهج المسعودي في كتابة التاريخ . الطبعة الأولى،١٤٠٧هـ .

١٢- الشهرستاني ، أبو الفتح محمد عبدالكريم ابن أبي بكر :الملل والنحل ، تحقيق عبدالعزيز بن محمد الوكيل ، بيروت ، مطبعة دار الفكر.

١٣- طه ، عزية علي : منهجية جمع الأناجيل وجمع السنة النبوية الشريفة: دراسة مقارنه ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٩٨٧م .

١٤- المنذري ، الحافظ زكي الدين عبدالعظيم: مختصر صحيح مسلم . تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثانية ، عمّان ، المكتبة الإسلامية ، ١٤١٢هـ .

المراجع الأجنبية

- Jones, Jameelah and Philips, Bilal. Plural Marriage in Islam. International Islamic Publishing House: Riyadh,1408.

- Karr, David. International Review of Mission. Vol. LXV, No.260, October1976.

- Wright, W. A Grammar of the Arabic Language. Librairie du Liban: Beirut,1974.

- Newmeyer, Fredric J. The Politics of Linguistics. Chicago Univercity Press: Chicago, 1986